المنصور باللَّه عليّ بن العبَّاس حفظه اللَّه، فأفرج عنه، فخرج إلى بيته، وقد ثقل سمعه، وضعفت قوته، لِعُلوِّ سنّه، ومع ذلك فما زال يقرئ من يطلب القراءة عليه. وكان له شغف بالعلم، وله عرفان تام بفنون الاجتهاد على اختلاف أنواعها. وله شيوخ عدة. وقد اختصر (الإصابة) وكتب مجلداً يشتمل على أسانيد الكتب العلمية إلى مصنفيها. وترجم جماعة من رجال الإسناد، وهو في حكم المعجم، وله كتاب آخر ذكر فيه تراجم لأهل عصره. وكان له عناية كاملة بعلم السنّة، ويد قوية في حفظها، وهو عامل باجتهاد نفسه لا يقلد أحداً. واستمر مشتغلاً بنشر العلم مجتهداً في الطاعات حتى (توفاه اللَّه) في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف. وله أولاد، أعلمهم عبد الحميد بن أحمد، وله عرفان كامل في علوم الاجتهاد مع سمتٍ ووفور عقلٍ، وجودة فهم، وقوة إدراك، وهو على طريقة والده في العمل بالأدلة، و(مولده) حسبما ذكر لي بخطّه سابع عشر شهر جمادى الأولى سنة ١١٧٥ خمسٍ وسبعين ومائة وألف. وهو الآن مكبٌّ على طلب العلوم، مشتغلٌ بالنظر في أمر معاشه ومعاده، مقبلٌ على شأنه قد شغلته نفسه عن غيره.

ومن شعر والده المترجم له حسبما رأيت ذلك بخطّه منسوباً إليه: [من البسيط]

يا سَارياً لِسُرَى الحُسنِ كم أسَرَتْ ... عُيونهُ مِنْ كَميٍّ حارَ في حَوَرِهْ[1]

نَوافثُ السّحرِ منها قَيّدتْهُ ضُحىً ... واللَّه أعلمُ ما كانَ انْتِها خَبَرِهْ

فَاعْقِلْ قَلوصَكَ واعقلْ من سَريْتَ لهُ ... فإنه الشمسُ تَعْشو العَيْنُ مِنْ نَظَرِهْ[2]

٧٠

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عليّ بن مُربع بن حَازم ابن إبراهيم بن العبَّاس المصريّ الشافعيّ الشيخ نجم الدين ابن الرّفعة)[3]

ولد سنة ٦٤٥ خمسٍ وأربعين وستمائة. وأخذ عن الضياء جَعْفَر ابن الشيخ

---

(١) الكَمِيُّ: البطل الشجاع التامُّ السلاح. الحَوَرُ: شدّة بياض بياض العين مع شدّة سواد سوادها.

(٢) عقل البعير: ضمَّ رسغ يديه إلى عضده، وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً. القلوص: الناقة الفتية القوية. تعشو: يضعف بصرها.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/ ٢٨٤؛ شذرات الذهب: ٦/ ٢٢؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٦٢؛ كشف الظنون: ٤٩١، ٨٨٦؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٠٨، ٥٤٩؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٣٥؛ الأعلام: ١/ ٢٢٢.

عبد الرَّحيم، والسديد الأرمي، وابن بنت الأعزّ، وابن دقيق العيد وغيرهم. واشتهر بالفقه إلى أن صار يُضرب به المثل. وكان إذا أطلق الفقيه انصرف إليه بغير مُشارك، مع مشاركته في العربية والأصول. ودرَّس بالمُعزِّية وأفتى، وعمل (الكفاية في شرح التنبيه) ففاق الشروح، ثم شرع في شرح الوسيط فعمل به في أول الربع الثاني إلى آخر الكتاب، وشرع في الربع الأول إلى أثناء الصلاة. ومات فأكمله غيره. وله تصانيف لطاف، وولي حسبة مصر، وناب في الحكم، ثم عَزَل نفسه، وحجَّ سنة (٧٠٧). وكان حَسَن الشكل فصيحاً ذكيّاً محسناً إلى الطلبة، كثيرَ السعي في قضاءِ حوائجهم. وكان قد نُدب لمناظرة ابن تيمية، وسُئِل ابن تيمية عنه بعد ذلك، فقال: رأيت شيخاً يتقاطر فقه الشافعية من لحيته. هكذا ذكر ابن حَجَر في الدُّرَر. ونَدب صاحب الترجمة لمناظرة ابن تيمية لا يفعله إلَّا من لا يفهم ولا يدري بمقادير العلماء، فابن تيمية هو ذلك الإمام المتبحر في جميع المعارف على اختلاف أنواعها، وأين يقع صاحب الترجمة منه، وماذا عساه يفعل في مناظرته، اللهم إلَّا أن تكون المناظرة بينهما في فقه الشافعية. فصاحب الترجمة أهل للمناظرة، وأما فيما عدا ذلك فلا يقابل ابن تيمية بمثله إلّا من لا يفهم، ولعل النادب له بعض أولئك الأمراء الذين كانوا يشتغلون بما لا يعنيهم من أمر العلماء، كسلار وبيبرس وأضرابهما. ولا ريب أن صاحب الترجمة غير مدفوع عن تقدمه في فقه الشافعية، ولكن لا مدخل للمناظرة فيه بين مجتهدٍ ومُقلّد. وقد أثنى ابن دقيق العيد على صاحب الترجمة، وكذلك السبكي، وقال: كان أفقه من الروياني صاحب البحر. قال الكمال جَعْفَر: برع في التفقه، وانتهت إليه رياسة الشافعية في عصره، وكان ديّناً، حسن الشكل، جميل الصورة، فصيحاً مُفوّهاً كثير الإحسان إلى الطلبة. قال القاضي أبو الطاهر السَّقطي: كانت لي حاجة عند القاضي لتوليه العقود، فتوجّه ابن الرفعة معي إلى القاهرة، فحضرنا درس القاضي فبحث معي ابن الرفعة في ذلك الدرس. ثم جعل يقول: يا سيدنا يا زين الدين ترفق بي، ثم عرف القاضي بي فقضى حاجتي. ولما تولَّى ابن دقيق العيد القضاء توجّه معي إليه ولم يكن له بي معرفة فقال له: ما تذكر سيدنا لمّا درس العبد بالمعزية، وشرفتهم بالحضور، وأورد سيدنا البحث الفلاني، وأجاب فقيه في المجلس بكذا، فاستحسن سيدنا جوابه هو هذا، فولَّاني، وحكاياته في ذلك كثيرة؛ قال: وكان أولاً فقيراً مُضيَّقاً عليه فباشر في حرفةٍ لا تليق به، فلامه الشيخ تقي الدين بن الصايغ، فاعتذر إليه بالضرورة، فتكلم له مع القاضي، وأحضره درسه، فبحث وأورد نظائر وفوائد، فأعجب به القاضي، وقال له: إلزم الدرس ففعل، ثم ولّاه قضاء الواجبات، فحسنت حاله. ثم ولي أمانة الحكم بمصر فوقع بينه وبين بعض الفقهاء شيء، فشهدوا عليه أنه نزّل فقيه المدرسة عرياناً، فأسقط العلم السمهودي نائب الحكم عدالته، فتعصب له جماعة

ورفعوا أمره إلى القاضي، فقال: إنه لم يأذن لنائبه في الإسقاط، فعاد لحاله. ومؤلفاته تشهد له بالتبحر في فقه الشافعية. ولمّا ولي ابن دقيق العيد، استمرَّ على نيابة الحكم حتى حصل له أمر عَزَل فيه نفسه، فلم يعده ابن دقيق العيد. وسُئل عن ذلك فقال: أنا ما صرفته. ثم تولَّى الحسبة في مصر إلى أن (مات) ليلة الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة. وكان كثير الصدقة مكبّاً على الاشتغال، حتى عرض له وجع المفاصل بحيث كان الثوب إذا لمس جسده آلمه، ومع ذلك فلا يخلو من كتاب معه ينظر إليه، وربما انكب على وجهه وهو يطالع.

(٧١)

(أحمدُ بن مُحمَّد بن عِماد بن عليٍّ الشِّهاب، أبو العباس القَرافيّ المصريّ ثم المَقْدِسيّ الشافعيّ المعروف بابن الهائِم)[١]

ولد في سنة ٧٥٦ ستٍّ وخمسين وسبعمائة، وسمع في كبره من التقيِّ ابن حاتم، والجمال الأسيوطي، والعراقي، ونحوهم. واشتغل كثيراً، وبرع في الفقه والعربية، وتقدم في الفرائض ومتعلقاتها، وارتحل إلى بيت المقدس، فانقطع به للتدريس والإفتاء. وناب هنالك في تدريس الصلاحية، وانتفع به الناس، وكان خيّراً مهاباً مُعلّماً قوّالاً بالحق، علّامة في فنون. انتهت إليه الرئاسة في الحساب والفرائض، وجمع في ذلك عدة تآليف، عليها يعول الناس من بعده، منها (كتاب الفصول) و(الجمل الوجيزة) و(الأرجوزة الألفية) كلّها في الفرائض. وكتاب (المعونة) و(اللمع المرشدة) و(مختصر تلخيص ابن البناء) كل ذلك في الحساب و(المنظومة اللّامية في الجبر والمقابلة) والطريقة في المناسخة المشهورة الآن، وفي الفقه شرح قطعة من «المنهاج» في مجلد. و(غاية السؤل في الدين المجهول) و(تحقيق المعقول والمنقول) في رفع الحكم الشرعي قبل بعثة الرسول. ورسائل في مسائل عدة. واختصر (اللمع) لأبي إسْحَاق الشيرازي في الأصول، وله في العربية (الضوابط الحسان فيما يقوم به اللسان) ونظم قواعد الإعراب وشرحها (التبيان في تفسير غريب القرآن) و(العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد) كتب منه ثلاثين كراساً، و(البحر العجاج في شرح المنهاج)، وقطعة من التفسير (وإبراز الخفايا في فن الوصايا). وسارت بمؤلفاته

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ١٠٩؛ الضوء اللامع: ٢/ ١٥٧؛ كشف الظنون: ١٢٤، ١٢٦٥، ١٩٤٢؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٠، ٢٨٢؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٣٧؛ الأعلام: ١/ ٢٢٦.